مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية

المجلد 11 / العدد: 02 (2021)، ص 354 - 366

العامية واللغة العربية الفصحى من منظور محب الدين الخطيب

Vernicular and classical Arabic in the perspective of Mohebedine Al Khatib

د. محمد الشريف حسين [1] ,Mohammed Cherif Hocine

جامعة المسيلة، medhoc10@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/12/13 تاريخ القبول: 2021/05/04 تاريخ النشر: 2021/12/28

ملخص:

يعتبر محب الدين الخطيب من المفكرين الكبار الذين تحملوا عبء الدفاع عن الأمة العربية والإسلامية ومقومات شخصيتها والتصدي لموجة التغريب التي إجتاحتها منذ مطلع القرن الماضي. ومن ذلك الموجة ا لعارمة للدعوة إلى العامية بدلا من اللغة العربية الفصحى وكتابتها بالحروف اللاتينية. وقد دعا إلى هذه الدعوة الكثير من المفكرين أمثال لطفي السيد خاصة سلامة موسى الذي تبنى دعوة الإنجليزي وليام ويلكوكس W.Wilcoks وقد نادى كثير من المستشرقين بهذه الأفكار من ذلك المستشرقين الفرنسيين ماسينيون وبانيار.

وقد أثارت هذه الدعاوي عددا من الكتاب والعلماء بالرد عليها ومعارضتها معارضة شديدة منهم محب الدين الخطيب الذي اعتبرها مضيعة للوقت وإهدارا لموارد الأمة وضوبا لعزة النفس القومية. وقد آزره في ذلك الكثير من العلماء والمفكرين أمثال: محمد الصادق الرافعي ورشيد رضا، وشكيب أرسلان....

كلمات مفتاحية: محب الدين الخطيب، العامية واللغة العربية الفصحى، المستشرقون.

Abstract:

Mohebedine Al Khatib is one of the great thinkers who defender the arabic and islamic nation, and confronted the westernisation wave that engulfed it since the beginning of the last century. Including call to use vernicular instead of clssical arabic and to write it in latin letters. Many of debaters have called to this invitation like Lotfi Essaîd and Salama Moussa who adopted William Wilcok's call.

[1] **المؤلف المرسل:** حسين محمد الشريف، **الإيميل:** medhoc10@gmail.com

A lot of orientalists have called to these ideas before, like frensh orientalists Massignon and Baniar. These claims have sparked a number of writers and scholars by respondingto, and strongly opposing them. Mohebedine El Khatib considered them a waste of time and nation ressources, and a strike for the national psyche. He was supported by a lot of thinkers and intellectuals like Mohamed Assadik Arrafii, Rachid Redha, Chakib Arslan and many others.

Keywords: Mohebedine El Khatib, Vermicular and classical arabic, orientalists.

- **مقدمة**

لقد شهدت البلاد العربية، وهي تحت الهيمنة الأجنبية في النصف الأول من القرن العشر ين موجة عارمة من طرف الكثير من الكتاب والمفكرين المتأثرين بالفكر الغربي دعوة عارمة لاستبدال اللغة العربية الفصحى باللهجات العامية، القطرية والتخلي عن الحروف العربية وا عتماد الأبجدية اللاتينية لكي ترقى إلى مصاف اللغات الأخرى اقتداء بما فعلته تركيا الكمالية يوم 01 نوفمبر 1928م بجره قلم قاطعة كل صلاتها بماضيها الزاهر وتاريخها وحضارتها الإسلامية تحت ذريعة الانبعاث الحضاري!!!؟.

ومما يجمع عليه الكثير من المؤرخين والكتاب في هذا المجال، أن هذه الدعوة في حقيقة أمرها ليست ذاتية "داخلية" بل هي من الأفكار المستوردة من الغرب، قد نادى بها كثير من المستشرقين وغيرهم من الكتاب الغربيين.

وقد أثارت هذه الدعوة عددا كبيرا من العلماء والكتاب ومنهم محب الدين الخطيب وغيره من علماء عصره، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا المقال.

1. دعوات تغريب اللغة الفصحى:

ظهرت في مطلع هذا القرن موجة عارمة للتخلي عن الحروف العربية واستبدالها بحروف لاتينية والدعوة إلى العامية بدلا من الفصحى (رضا، يناير 1902: 827، وفبراير 1902: 876؛ التريكي، 1965: 73) تحت ذرائع متعددة وإن كان الهدف واحدا وهو القضاء على العربية كأحد الأسس الرئيسية في جمع الأمة العربية من مشرقها إلى مغربها.

ومن هذه الموجات نذكر ما دعا إليه لطفي السيد سنة 1913م إلى استعمال الألفاظ العامية وإدخالها الفصحى عبر العديد من المقالات... حيث يرى بان استعمالها في الكتابة يزيد العامة فهما ويجعلهم يتابعون الكتاب في كتاباتهم...(الجندي، 1982: 187).

أيضا نجد قاسم أمين(*) سنة 1912م هو الآخر يصرح بالتخلي عن الإعراب وتسكين أواخر الكلمات بحجة أن الإعراب صعب وفهمه يحتاج وقتا كبيرا فهو مضيعة للوقت. في حين تبنى سلامة موسى(**) دعوة الانجليزي وليام ويلكوكس(***) W.Wilcoks لاستبدال الفصحى بالعامية واستعمالها في تدوين علوم المصريين وآدابهم. بينما ذهب عبد العزيز فهمي إلى تقديم مشروع إلى المجمع اللغوي المصري يوم 24 يناير 1944م لاتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية(****) بدعوى أن اللغة كالكائنات الحية ينمو ويهرم ويموت مخلفا من بعده ذرية لغوية متشبعة الأفراد هي أيضا في تطور مستمر وهذا ما حدث في لغة قدماء المصريين وأيضا في اليونانية واللاتينية التي اشتقت منها الايطالية والفرنسية والاسبانية وغيرها وأصبح لكل لغة منها قواعدها الخاصة... (خليل، 1944: 4؛ الجندي، 1982: 188).

فهو يعيب على البلاد العربية المنفصلة عدم جعلها لهجة أهلها لغة قائمة بذاتها لها قواعدها وتكون هي المستعملة في الكلام الملفوظ وفي الكتابة معا تيسيرا على الناس... لأنه يرى بان العربية الفصحى صعبة المنال يصعب التحكم فيها بسهولة كبعض اللغات الأجنبية الحية... ويرى بأن صعوبات العربية تكمن في تصريف الأفعال وتحديد أوزانها واشتقاق صيغها وكثرة جموعها وهذا ما يؤلف "أشواكا وعقبات" تعترض الطلاب في دروسهم.

(*)- قاسم أمين: 1863-1908م ولد في ضواحي القاهرة، تلقى دروسه الابتدائية في الإسكندرية والتحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة ثم بمدرسة الحقوق ومنها إلى فرنسا لإتمام دراسته الحقوقية في منبولييه، عين وكيلا للنيابة العامة ثم مستشارا في محكمة الاستئناف، اهتم بقضية المرأة ومعالجة قضايا المجتمع فكان له أثر بعيد في النهضة الاجتماعية الحديثة، من مؤلفاته: تحرير المرأة، المرأة الجديدة أسباب ونتائج وأخلاق ومواعظ.... (الفاخوري، 1986: 104).

(**)- سلامة موسى: 1888-1938م كاتب مصري قبطي ذو نزعة فرعونية، درس القانون في انجلترا واستهوته الأفكار الاشتراكية في السياسة والأدب، حرر فصولا في مجلتي "الهلال" و "المقتطف" ثم أسس المجلة الجديدة عام 1929م. له مؤلفات مطبوعة منها: نظرية التطور عام 1925م وأصول الفلسفة، وتربيتي.

(***)- وليام ويلكوكس W.Wilcoks: 1852-1938م مهندس بريطاني ولد في الهند وتعلم بها قدم إلى مصر حيث خطط وبنى خزان أسوان في مصر سنة 1898م وأقام بها إلى سنة 1911م. دعا بحدة إلى استعمال العامية والتأليف بها وله خطاب شهير ألقاه في الأزبكية (يناير 1911م) في المسألة ذاكرا أن من جملة عوامل فقدان قوة الاختراع عند المصريين استبقاؤهم اللغة العربية الفصحى على حالتها وذكر أن الأمة البريطانية استفادت استفادة كبرى بإغفال اللغة اللاتينية. (المراكشي، 1985: 462-463).

(****)- ومما يجدر ذكره في هذا المقام أنني من خلال زياراتي وترددي على مكتبة الرهبان بحي لغلوسين بالجزائر العاصمة، اكتشفت بأن الرهبان والراهبات كانوا يتدارسون العربية بالحروف اللاتينية بما يشبه الدعوات التغريبة.

وأيضا يرى بان رسم كتابتها يعد الكارثة... لأنه لا يتيسر معه قراءتها مسترسلة مضبوطة حتى لغير المتعلمين... ويصل أخيرا إلى وجوب اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية كما فعلت تركيا.(*)

ولم يكن هؤلاء وحدهم الذين دعوا إلى ترك الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية بل كان غيرهم كثير أمثال: الخوري مارون غضن في كتابه حياة اللغة وموتها: اللغة العامية عام 1926م، الزهاوي في مقال له في المؤيد عام 1910م، وأيضا سلامة موسى في كتابه الدعوة إلى اللغة العامية وكتابه البلاغة العصرية عام 1926م... أمين الخولي ودعوته إلى إهمال اللغة الفصيحة واستخدام العامية كلغة للكتابة.

ومما يجب الإشارة إليه وتوضيحه أن الدعوة إلى العامية لم تكن محصورة في المشرق العربي فحسب فقد انتقلت عدواها إلى المغرب العربي عن طريق الاستعمار الفرنسي وبيادقه في المنطقة الذين شايعوا الثقافة الغربية وانحازوا إليها.

ويعد اللغوي الفرنسي بيريس "Perez" من أبرز المنظرين الاستعماريين لهذه الدعوة (العرباوي، 1 مايو 1995م).

وقد اتخذ دعاة التغريب إلى جانب المستشرقين معهد قرطاج الاستشراقي بتونس منبرا لنشر هذه الدعوة الخبيثة عن طريق المحاضرات والندوات، وما أمكن من وسائل التبليغ بعد إجماعهم على موت اللغة العربية وعجزها عن مسايرة العصر، ومن الذين أعلنوا ذلك: شارل نوال "Charles Noel" في محاضرة له بعنوان: هل العربية لغة حية؟ "l'arabe est elle langue vivante" جاء فيها هل العربية لغة حية؟ على هذا السؤال أجيب بكل جرأة: "لا" (Charles Noel, 1909 : 187).

وهناك كذلك لويس مشويل(*) Machuel الذي ألف كتبا كثيرة بالعامية وعمل على إقناع العامة بفوائدها وقد لقي هذا العمل الدعم والتأييد من السلطات الفرنسية التي قامت بإدراج تعليم اللهجة التونسية لأبناء الأوربيين في المدارس تنفيذا لهذا المخطط (هشام بوقمرة، 1985: 68) وقد تصدى لهذه العملية الزيتونيون وقوى الحركة الوطنية رغم ضعفها آنذاك واتهموا هذه الدعوة بالتواطؤ والخيانة للغة العربية ومناصرة اللغة الفرنسية.

(*)- لقد رد العلامة محمد كرد علي على عبد العزيز فهمي قائلا: "...إن قول زميلي إنه يوشك أن تعوزنا اللغات الأجنبية فنترك لغتنا ونستعيض عنها بلغة من لغاتهم هذا خوف لا محل له لان اللغة العربية تزداد كل يوم رسوخا في نفوس أهلها بفضل النهضة التي نهضناها وبفضل توفر أسباب التعليم والنشر... وما أظن شيخ القضاة إلا ويعرف أن لانحطاط الشعوب الإسلامية في بعض مظاهرها عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم وان برهانه هذا ضعيف لا يصح الاستدلال به على ما هو بصدده..." (الجندي، 1982: 189).

(*)- مشول (لويس) Machuel: ت 1922م: مستشرق فرنسي استظهر القرآن عمل في مدرسة تونس ثم عين أول مدير للتعليم بها أثناء الحماية الفرنسية عليها، له معجم عربي فرنسي (المنجد في اللغة والأعلام)، المرجع السابق، ص: 628.

وما يجمع هؤلاء وغيرهم ممن سار في هذا الاتجاه هو معاداتهم للغة العربية الفصحى وكذلك حروفها فهم يدعون إلى إحياء العامية بدل الفصحى وإلى اتخاذ الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية.

أيضا هذه الدعوة ليست ذاتية (داخلية) بل هي من الأفكار المستوردة من الغرب وقد نادى كثير من المستشرقين بهذه الأفكار من ذلك المستشرقين الفرنسيين -ماسنيون وبنيار- حيث نصحا أصدقاءهما العرب بكتابة لغتهم بالحروف اللاتينية عام 1929م، كما نشرت المقطم في 10 جويلية 1929م مقالا لمستشرق هولندي اقترح على الحكومة المصرية كتابة العربية بالحروف اللاتينية. وأيضا المشروع الذي تقدم به "ويلمور" Wilmore الانجليزي العضو المستشار في محكمة الاستئناف بمصر في شكل كتاب يدعو فيه إلى إحلال العامية بالمدارس محل العربية الفصحى.

وقد أثارت هذه الدعاوي عددا كبيرا من الكتاب والعلماء(*) بالرد عليها ومعارضتها معارضة شديدة ومن هؤلاء السيد محب الدين الخطيب.

2. أسباب رفض الخطيب لاستعمال الحرف اللاتيني لكتابة اللغة العربية:

يرى الخطيب بان استعمال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية مضيعة للوقت فيرد على السيد عبد العزيز فهمي الذي دعا إلى ذلك قائلا: "...ونحن لو اتخذنا عبد العزيز فهمي باشا إماما لنا وما وراءه ومشت مصر على مذهبه في كتابة العربية بالحروف التي يقترحها فان الجيل المصري الذي سيلتحق بالمدارس الآن ورياض الأطفال سينشآن نشأة تجعل هذه الكتب الجميلة التي تطبعها دار الكتب وجميع المطابع المصرية والشامية والمغربية والهندية ومطابع المستشرقين وعشرات أمثالها وما طبع بالعربية من عهد محمد علي إلى اليوم وكل ما كتب بأقلام الناسخين من يوم ما كتب زيد بن ثابت المصحف في الصدر الأول وكتبت مصاحف عثمان للأمصار... كل هذا التراث الضخم يصبح في نظر هذا الجيل والأجيال الآتية بعده كأنه مكتوب بالحروف الروسية أو الأرمينية أو الصينية أو الهيروغليفية وبدلا من أن تدور دواليب المطابع بطبع كتب جديدة تزيد في ثقافة الأمة بالحروف العربية يكون لها شاغل باستئناف طبع الضروريات بالحروف اللاتينية من معاجم اللغة وقوانين الدولة وأنظمتها..." (الخطيب، 1363هـ: 5)

ثم يشير إلى أنها اهدار لموارد الامة موضحا في ذلك أن المواد التي تكتب في عدد واحد من جريدة الأهرام مثلا إذا أردنا طبعها بالحروف اللاتينية ستأتي كل صفحة في صفحتين حتما... فإن الأمة التي ستعمل بمشورة عبد العزيز باشا ونصيحته يجب عليها أن توطن النفس على إنفاق ضعف أجور

(*)- راجع رد قيم ومطول (بمثابة بحث) لأبي الأشبال أحمد محمد شاكر: "عبد العزيز فهمي باشا واللغة العربية"، الفتح، العدد: 816، شوال 1363هـ، العام 17، من ص: 4 إلى ص: 9 ومكملته في العدد: 817 من "الفتح" تحت عنوان: عبد العزيز فهمي باشا وعداؤه للعربية، ص: 10 وما يليها.

عمال المطابع وستحتاج إلى أماكن للمطابع تتناسب مع زيادة عدد العمال إلى نحو الضعف (الخطيب، 1363هـ: 5)... وباعة الكتب سيحتاجون إلى مكاتب ومخازن مساحتها ضعف مساحة مكاتبهم... وهلم جرا وكل ذلك يحتاج إلى نفقات اقتصادية إضافية، الأمة في غنى عنها... (الخطيب، 1363هـ: 5)

وبعد ذلك يبين لقرائه بأن الدعوة لتلتين اللغة العربية هو ضرب لعزة النفس القومية ويذكر قرائه بأن المصريين يفتخرون بأن سكان مصر الأولين من أسبق الأمم إلى اختراع الكتابة ويفتخرون هم وبقية الشعوب السامية والعربية بأن الفينيقيين الذين هم من أصل سامي... هم الذين أوجدوا الحروف التي أخذ منها اليونان والرومان ثم الإفرنج حروفهم فإذا صدقنا عبد العزيز فهمي باشا بان حركات الشكل لا تصلح لقراءة الحروف العربية قراءة صحيحة وقضينا بسبب هذا الوهن على حروفنا... واستعملنا الحروف اللاتينية بدلا منها فإن ناشئة الأجيال القادمة ستعتقد أنها من ذرية المفلسين وأنها عالة على هؤلاء الإفرنج حتى في أولويات الثقافة ومفاتيحها ومظاهر حياتها الابتدائية (الخطيب، 1363هـ: 5).

ومن ادعاءات دعاة العامية أن اللغة العربية صعبة في نحوها وفي تصريف أفعالها وتعدد جموعها... لكن لويس خليل يرد على هؤلاء حيث يقول: "...بكل صراحة بعد أن درسنا منذ نعومة الأظافر عددا غير قليل من اللغات القديمة والحديثة فإذا نظرنا إلى تصريف الفعل من سالم ومضعف ومهموز ومعتل وجدنا صيغة التصريف واحدة في كل من هذه الأنواع بينما في اللغات الحديثة والقديمة يضيع العقل والذاكرة بين شتات الصيغ والقواعد والشواذ التي لا آخر لها... كذلك قواعد النحو وتطبيقها على مختلف أنواع الكلمات كما هو الشأن في اللغات الانجليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية التي تحفل بالتعقيد واختلاف الصيغ وتضارب الكتابة واللفظ مما يجعل تلك اللغات حقا طلاسم مستغلقة مبهمة..." (خليل، 1944: 12). وحتى الآن لم نسمع أن أحدا من الفرنسيين والانجليز حاول تسهيل هاتين اللغتين (خليل، 1944: 12).

أما الشيخ عبد الله البستاني فقد سئل من احد الصحفيين عام 1930م عن موقفه من دعاة الحروف اللاتينية فأجاب: "هذه بدعة يصعب الأخذ بها في البلاد العربية وليست اللغة بحاجة إليها على الإطلاق فهي تستطيع أن تماشي المدينة الحاضرة دون اللجوء إلى حروف غريبة عنها" (المعرض الأسبوعية، فبراير 1930؛ تيمور بك، 1944: 188).

يرد الخطيب على الذين يدعون بأننا منحدرين انحدارا خطرا ومجهول العواقب بسبب اختلاف اللهجات بين الأمم الناطقة بالضاد ويخشون كثيرا إذا استمرت هذه الحالة أن يؤدي ذلك في النتيجة إلى إيجاد لغات جديدة كما وقع في اللغة اللاتينية حيث يقول: "إن هذا أمر مستحيل الوقوع مادام الشرقي العربي اتخذ من القرآن إماما خالدا وقد حاول كثيرون من ملاحدة مصر أن يتملصوا من سلطان لغة القرآن فأخذوا يبتكرون ألفاظا وتراكيب يزعمون أنهم يمصرون اللغة أي أنهم يسعون لأن تكون لمصر لهجة غير لهجات الأقطار العربية، فكانت الأقطار العربية الأخرى تحك هذه الألفاظ

والتراكيب على محك العربية الفصحى فما وافقها شاع استعماله في صحافة جميع الأقطار العربية فزالت عنه الصبغة المصرية، وما كان من ذلك خارجا على قوانين العربية مات في مصر قبل أن يصل إلى الأقطار الأخرى. وهكذا ستبقى العربية للناطقين بالضاد إلى أبد الآبدين ولو كره ذلك عباد الأحجار الميتة من أنصار الفكرة الفرعونية..." (محمد علي باشا، 1349هـ : 8).

ويرى لو أن عبد العزيز فهمي باشا اتجه إلى مجال اختصاصه "القضاء" لكان أفيد للأمة من أن يقول لها أنت مفلسة في مجهودك الثقافي من بداية الإسلام إلى الآن فحطمي أواصرك وحلقاتك الذهبية لتعيشي منفردة من جديد، فهذا كلام لا يصغي إليه أحد. زد على ذلك أن مصر تقود الآن حركة اتصال ثقافي أو أكثر من ثقافي بالأوطان العربية الأخرى. والإتجاه الذي يرمي إليه هذا الاقتراح يعارض ذلك الاتجاه فمن الخير أن ننصرف عن هذه الأوهام إلى الأعمال المجدية لئلا تذهب جهود أفاضلنا أدراج الرياح (الخطيب، ربيع الآخر 1363هـ : 5؛ محرم 1349هـ : 8 وما يليها). ويصل إلى نتيجة أن لغتنا وكتاباتنا لها عيب واحد وهو ضعفنا وأن ما يدعو إليه عبد العزيز فهمي باشا وأمثاله هو زوال الإسلام من المحيط الذي تنشأ أجياله هذه النشأة (الخطيب، محرم 1349هـ : 8 وما يليها).

أما في مجال الدعوة إلى كتابة العربية بحروف منفصلة فرد الخطيب على دعاتها وعلى رأسهم (الخواجة عكاوي) بأن جهودهم ستذهب أدراج الرياح لأن البيئة العربية الإسلامية التي تملك تراثا ثمينا يسهر علماء الاسلام على تنميته وتوسيعه زهاء أربعة عشرة قرنا ولن يخدعنا احد عن هذه الكنوز القومية الإسلامية مادام خطنا بشكله الحاضر هو مفتاح الاستفادة منها كما هو مفتاح التعليم بكتابة مختزلة سهلة يحسدنا عليها عارفو مزاياها (الخطيب، رجب 1363هـ : 8).

و يضيف الخطيب أن اللغات المختلفة ترجع أصوات حروفها إلى مخارج معلومة وأن الحروف اللاتينية البالغة خمسة وعشرين حرفا والمأخوذة على حد قوله من الأبجدية الفينيقية عاجزة عن الدلالة على الكثير من مخارج الحروف العربية والفارسية والتركية والصقلبية والروسية والأرمنية (الخطيب، الزهراء ج2-3، م5، جمادى الأولى 1347هـ: 88). كما يوضح أن حركات الشكل على الحروف العربية يعطيها نطقا خاصا وأن كتابة اللغات الافرنجية في منظوره بالحروف العربية أقل خطرا من كتابة اللغات الشرقية بالحروف الافرنجية (الخطيب، جمادى الأولى 1347هـ: 89) .

ويكشف لقارئه ومتابعيه بأن اللغة العربية وحروفها قادرة على استيعاب اللغات الشرقية واحتواء ألفاظها أكثر من أية حروف أخرى (الخطيب، جمادى الأولى 1347هـ: 89) ، وهي عملية سهلة في رأيه خاصة وأنه يتقن البعض منها كالتركية لغة تعليمه. حيث لا يجد فيها من منظوره التركي والفارسي أو الباكستاني أو الكردي... أية صعوبة في الاستعمال. والظاهر أن الخطيب هنا له الحق في ذلك، وإلا كيف نراها "الحروف العربية" مستمرة الوجود والاستعمال إلى يومنا هذا في ايران وباكستان وكردستان العراق وأفغانستان وبعض اللغات في افريقيا السوداء كنيجيريا ومالي والنيجر وحتى في تركستان الشرقية أو الصينية. (فهمي هويدي،يوليو 19861م: 170)

وفي مضمار آخر يبين أن الأمم الإسلامية في استعمالها للحروف العربية كان من منطلق كتاب الله تعالى "إنما المؤمنون اخوة" (سورة الحجرات، الآية:10) وفي منظوره أن الأخوة تقتضي توثيق الارتباط بين الشعوب الاسلامية بتوحيد حروفها وتزيين لغاتها بالألفاظ العربية لتقوم بوظيفة توثيق الأواصر وتقوية الوشائج كما أن هذا يجعل المسلم الناشئ متعلما منذ نعومة أظافره الحروف التي تسهل له تلاوة القرآن الكريم والقيام بعبادة الله تعالى (الخطيب، الفتح، 6سبتمبر 1928م:5) .

يخلص الخطيب إلى تبني العلمانيين الأتراك للحروف اللاتينية منذ 9 أغسطس 1928م ..Pierre) (Willemart, Miroir De l'histoire, Février 1969 : 57... قد حول المتعلمين بالحروف العربية إلى جهلاء ما دامو لا يعرفون القراء ة والكتابة بالحروف اللاتينية (الخطيب، الفتح،12 رمضان 1355هـ: 12) .

3. الخطيب وموقفه من الدعوة إلى العامية:

ينصح الخطيب دعاة العامية وترك الفصيح قائلا: "...قبل أن نعمل على تصحيح العامية وترقيتها بجهودنا الصناعية حتى نكون منها لغة الكتابة والحياة ينبغي لنا أن نستمر في تثقيف المتكلمين بالعامية في أعماق الحقول ومترامي القرى فإذا ارتقت مداركهم بعد إملاء معدتهم بالغذاء وتسربل أجسامهم بالكساء ترتقي بطبيعة الحال لغتهم التي هي ترجمان مداركهم فيكون الذي نشتهي أن يكون..." (الخطيب، صفر 1367هـ : 11). وترقية اللغة العربية اليوم موكلة لمجمع اللغة العربية وهي مهمة مزدوجة جد خطيرة مبنية على القاعدة الإسلامية (درء المفاسد وجلب المنافع).

"...أن يحافظ المجمع على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر..." (الخطيب، ربيع الأول 1367هـ : 4).

ويمضي في دحض آراء دعاة العامية وكتابة العربية بحروف لاتينية ويبين ما ينجر من عواقب وخيمة على مستوى البلاد العربية والعالم الإسلامي فيقول: "...فإذا اخترنا العدول عن الفصحى إلى العامية سيترتب على ذلك تغيير جديد في سياسة الدولة لأننا نبتر به أقوى أصر تربط مصر بتلك الدول الشقيقة وبالأقطار العربية التي تنشد التحرير وتستعين عليه بنا وبدول الجامعة بل أن امتداد العربية الجغرافي يتسع إلى ابعد من حدود الوطن العربي لأن لغة القرآن عالمية مشتركة بين خمسمائة مليون مسلم تخفق قلوبهم نحوها بعواطف تتمنى الدول الكبيرة لو تظفر بجزء منها..." (الخطيب، ذي الحجة 1366هـ، :5).

ولكي يؤكد بان اللغة العربية يجب أن تكون أداة وحدة بين الناطقين بالعربية اليوم كما كانت في الماضي البعيد لا عامل انقسام وتشتت فيؤكد قائلا: "...إن من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي لم يذكرها العلماء في جملة معجزاته انه أعاد للبلاد السامية وحدتها القومية واللغوية بعد

أن فرق بينها كر الزمان وترامي الأوطان فأصبحت اللغة العربية لغة الأمم السامية كلها كما كانت أمها اللغة السامية الأولى لغتهم قبل التشتت والانقسام..." (الخطيب، ربيع الآخر 1364هـ : 5).

ويشكر الله تعالى أن جعلنا من الناطقين بالعربية لما لها من مزايا في الدارين قائلا: "...وكما خصصنا بلغة العروبة سيدة اللغات التي وسعت كتاب الله وحفلت بجوامع الحكمة وتبنت من أقدم عصورها أدق خطرات النفوس، وألطف مدارك العقول، وأسمى سوانح الأفكار، فكانت أسبق لغات البشر تسمية لها وتعبيرا عنها وتفننا في جمال بيانها، فلم يعرف الناس لكمال هذه اللغة طفولة ولا شيخوخة..." (الخطيب، محرم 1357هـ : 3).

وفي مقال آخر يبين بان عظمة العربية لا تعود إلى فترة الإسلام فقط بل هي موغلة في القدم: "...هذا بعض تراث الإسلام فينا من أربعة عشرة قرنا وإن لنا وراءه تراثا آخر للعروبة يتوغل أكثر من أربعين قرنا في أحشاء الماضي، ومنه هذه اللغة العجيبة الثرية الدقيقة الجميلة الوارفة الظلال الأبدية الحياة، هذه اللغة وما تدل عليه من هطرات نفس ومدارك عقل وعواطف قلب، وتسلسل وتناسل وتكاثب في المعاني وفي مشتقات الألفاظ الدالة على هذه المعاني كل ذلك يحتاج منا إلى دراسات لا أخر لها..." (الخطيب، ذو الحجة 1367هـ : 3).

فسلامة اللغة هي الهدف الأول الذي أنشئ المجمع لتحقيقه ويجب أن نبتعد عن المعارك الهامشية وعن الخلافات التي لا تجدي نفعا كأن نستبدل الجيم بالقاف في كلمة النقب كما جاء في دعوة الدكتور سليم حسن في صحيفة المصري (الخطيب، ذو الحجة 1367هـ : 19).

ولم يقف عند ذكر مهمة مجمع اللغة العربية بل دعاه إلى وضع معجم تحتاج إليه الأمة العربية ليصير مرجعا حقيقيا لقراء العربية يعودون إليه في كل ما يقع تحت أنظارهم عند المطالعة في المؤلفات العربية ويفتح الباب للاستغناء عن الكلمات الأجنبية بالكلمات والألفاظ العربية(الخطيب، الفتح، جمادى الأولى 1353هـ : الزهراء ج3و4، م2 ؛ ربيع الأول وربيع الثاني 1344هـ ، ص 145 وما بعدها).

ويتعجب مما يريده لنا عبد العزيز فهمي باشا بالدعوة إلى تمزيق وحدتنا في حين يرى : "كبار المفكرين الألمان عمل لوثر في تحويل الألمانيين والانجليز والأمريكيتين وغيرهم عن الكنيسة الكاثوليكية أقل عظمة وجدوى من عمله، من ترجمته للتوراة والإنجيل... هذه الترجمة التي وحدت لهجات الألمان المتفرقة وجمعتهم على لغة واحدة..." (الخطيب، الفتح، جمادى الأولى 1363هـ : 6). فهم يعملون على الوحدة والتماسك وأبناء جلدتنا يعملون على الفرقة والتشتت.

لم يكن الخطيب وحيدا في تصديه للاستعاضة بالعامية عن الفصحى بل آزره كثير من العلماء والمفكرين الذين حذوا حذوه منهم مصطفى صادق الرافعي، وحسن والي، والخضر حسين... ورشيد رضا الذي كان سباقا لهذا التصدي منذ مطلع هذا القرن والداعي الأول إلى تكوين هيئة علمية مختصة لضبط المفردات العربية وتجديد المصطلحات ويعني هذا تكوين مجمع لغوي عربي.

وهذا ناصر الدين دينيه[*] يوضح بأن الدعوة إلى ترك الكتابة بالعربية واستبدالها بالكتابة اللاتينية إنما يقصد منها إعلان الحرب على العرب والإسلام، وأن للحروف للعربية روحا ملائمة للصوت البشري موافقة للألحان الموسيقية (ناصر الدين دينيه، د.ت : 116).

وكذلك نرى السير إدوارد دينسون روس مدير مدرسة اللغات الشرقية في لندن آنذاك وأعظم مستشرق في العالم وصاحب المؤلفات يحذر مندوب الأهرام من استعمال الحروف اللاتينية لان معنى هذا ضياع الإسلام وتهديم صرح وحدة المسلمين (الفتح، 17 يناير 1929 : 4).

وحتى ماسيننيون أحد العاملين على قتلها يصر فيما بعد على أنها العنصر الجوهري للسلام بين الأمم مستقبلا.

أما ارنست رينان[*] فإنه يشير إلى أنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى.... (الخطيب، جمادى الأولى 1363هـ : 3 وما يليها).

بينما يصر العلامة غوستاف لوبون على التـ مسك بالعادات والتقاليد النيرة وكل ما يمت إلى الماضي بصلة وقد وضح رأيه هذا لتوفيق أفندي عندما جاء لتوديعه وكتب له بخطه: "إن الشعب الذي يريد الرقي يجب عليه أن لا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه... أي يجب أن يحترم تقاليده ويراعيها (لوبون، 1344هـ : 353) واللغة أحد العناصر الأساسية التي تربط الأمم بماضيها، والأمة التي تفقد لغتها بدون شك ستفقد ماضيها".

والفضل فيما شهد به الأعداء فهؤلاء الذين ذكرناهم أنفا وغيرهم شهدوا بان اللغة العربية لغة حياة وتجدد لا لغة عقم واندثار.

---

[*]- ناصر الدين دينيه (ألفونس اتيين دينيه، ناصر الدين بعد إسلامه): ولد بباريس سنة 1861م وعاش فنان بطبعه، كان مرهف الحس رقيق الشعور جياش العاطفة أحب حياة العرب فاتخذ له بينهم مقاما محمودا في واحة بوسعادة بالجزائر وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير له عدة صور في متحف لوكسمبورغ منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم رمضان، وصور في متحف (ألبو) ومتحف سيدني بأستراليا وغير ذلك كثير، امتاز عن الرسامين العالميين بتخصصه في تصوير الحياة الإسلامية وبالأخص ما كان منها في بلاد الجزائر، وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح حتى قيل عنه (المصور العربي) أعلن إسلامه رسميا بالجامع الجديد بالجزائر العاصمة في اجتماع حافل عام 1927م وفي سنة 1928م قام بأداء فريضة الحج، توفي بباريس في ديسمبر 1929م ونقل جثمانه إلى الجزائر حيث دفن في مقبرة بناها لنفسه ببلدة بوسعادة تنفيذا لوصيته. (إتيين، وسليمان بن إبراهيم، بدون تاريخ : 5-7 و 36).

[*]- أرنست رينان (E. RENAN) 1823-1892م: كاتب فرنسي الأصل تعلم في باريس ودرس اللغات الشرقية وخاصة العبرية وحصل على شهادة التبريز في الفلسفة عام 1848م ثم شهادة الدكتوراه في موضوع: ابن رشد والرشدية عام 1852م، سافر في بعثة أثرية إلى سوريا عام 1860م، وكتب كتابا حول المسيح والمسيحية عام 1863م. ثم تولى التعليم في Collège de France ابتداءا من 1882م (Grand Larousse, 1964, t 9 : 149-150).

والدعوة إلى العامية وتلتين العربية لكي ترقى إلى مصاف اللغات الأخرى ما هي إلا مؤامرة الغرض منها تفتيت اللغة العربية إلى لهجات محلية أو قطرية على شاكلة ما حدث للغة اللاتينية للتخلص منها والقضاء عليها بصفتها لغة قومية مشتركة لأبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ولغة روحية لأبناء الأمة الإسلامية.

وبما أن اللغات أو اللهجات المحلية أو العامية راكدة وضعيفة في مستواها الاجتماعي المتخلف فهي لا تقدر أن تثبت وجودها في المستويات الأعلى على أن تكون أداة رقي الإنسان العربي وتحضيره وتمدينه وترقيته في جميع المجالات، ثقافية، اجتماعية، إدارية، وبما أنها عاجزة لان مستواها ضعيف يعزف الناس عن استعمالها لا محالة وبالتالي لا مفر من استعمال لغة المستعمر باعتبارها لغة حضارة ورقي بعد أن يخلو لها المجال على مر الأيام، وعندئذ يقال عن هذه اللغة الأجنبية مكسب تاريخي وغنيمة حرب وهكذا يتحقق للاستعمار وصايته الثقافية على البلاد التي طرد منها.

الخاتمة:

خلاصة ما يمكن الإشارة إليه للقارئ الكريم أن ما حاول المستشرقون والاستعماريون في البلاد العربية وخدامهم فيها من دعوات تغريب اللغة العربية وتبني اللهجات المحلية بدلا منها وجعلها ضرة لها بعدما كانت أخوات لها لضرب الوحدة الثقافية واللغوية للأمة العربية، وبث روح الشقاق والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة لتمزيق شملها والحفاظ على بقاء نفوذها الثقافي واللغوي في البلدان التي كانوا يستعمرونها. لأن دعواتهم في حقيقة أمرها لم تكن خلاصا وبرا ولكنها كانت بمثابة مكر وخبث، لإبعاد الفصحى الجامعة التي كانت ذات مرة لغة العلوم والطب.... طوال أكثر من تسعة قرون من الدهر وهي اللغة العلمية الأولى آنذاك. وهم يدركون جيدا أن دعواتهم ما هي إلا دعوة لهيمنة لغتهم لا غير وليس الولوج إلى مستوى من الثقافة والعلم والنهوض بأبناء الأمة إلى ما يصبون إليه.

- مصادر ومراجع المقال:

1) القرآن الكريم.
2) إتيين، سليمان بن إبراهيم، (بدون تاريخ)، محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.
3) بوقمرة هشام،1985، التضحية اللغوية في تونس، تونس، الشركة التونسية للتوزيع.
4) التركي عبد المجيد، 1965، قضية الفصحى واللهجات في نظر بعض الأدباء المعاصرين، حوليات الجامعة التونسية، ع 2.
5) تيمور بك محمود، أبريل 1944، مجلة الهلال المصرية، القاهرة، مصر.
6) الجندي أنور ، 1982، الموسوعة الإسلامية العربية (10) الفصحى لغة القرآن، القاهرة، دار الكتاب المصري.

7) الخطيب محب الدين، ربيع الأول وربيع الثاني 1344هـ، "حول المعجم العربي"، مجلة الزهراء، ج3-4، م:2، القاهرة، مصر.
8) الخطيب محب الدين، الترك وحروف الكتابة، مجلة الزهراء، ج 2-3، م5، جمادى الأولى 1347هـ .
9) الخطيب محب الدين، في بلاد مصطفى كمال، الفتح، العدد: 112، 6 سبتمبر 1928م.
10) الخطيب محب الدين،29 محرم 1349هـ، "رد على زكي باشا"، الفتح، العدد: 205، السنة الخامسة، القاهرة، مصر.
11) الخطيب محب الدين،27 جمادى الأولى 1353هـ،"المعجم العربي-بمناسبة ما يكتبه بعض أعضاء المجمع اللغوي وغيرهم للمعجم الذي نحتاج-"، الفتح، العدد: 411، السنة التاسعة.
12) الخطيب محب الدين، لغات الشرق والحروف اللاتينية، الفتح، العدد: 525، 12 رمضان 1355هـ، السنة 11.
13) الخطيب محب الدين، محرم 1357هـ، "في استقبال عهد جديد"، الفتح، العدد: 851، العام 18.
14) الخطيب محب الدين، ربيع الآخر 1363هـ، "أربع فوائد عاجلة لكتابة العربية بالحروف اللاتينية"، الفتح، العدد: 810، السنة 17.
15) الخطيب محب الدين، جمادى الأولى 1363هـ ، "القرآن معجزة بين معجزتين" ،الفتح ،العدد: 811، السنة: 17.
16) الخطيب محب الدين، رجب 1363هـ، "بدعة كتابة العربية بحروف منفصلة"، الفتح، العدد: 813، السنة: 17.
17) الخطيب محب الدين، ربيع الآخر 1364هـ، "من هو العربي؟ وما هي الرسالة التي يحملها الى انسانية الغد؟"، الفتح، العدد: 821، العام 17.
18) الخطيب محب الدين، ذي الحجة 1366هـ، "كيف تأسست دار العلوم معقل العربية الفصحى؟"، الفتح، العام: 17.
19) الخطيب محب الدين، صفر 1367هـ، "لأن أكون مخطئا أحب إلي من أكون ظالما"، الفتح، العدد: 852، السنة: 18.
20) الخطيب محب الدين، ربيع الأول 1367هـ، "مهمة مجمع اللغة العربية"، الفتح، العدد: 853، العام 18.
21) الخطيب محب الدين، ذو الحجة 1367هـ، "الأساس الذي نقيم عليه نهضتنا"، الفتح، العدد: 862، العام 18.
22) الخطيب محب الدين، ذو الحجة 1367هـ، "صحراء النقب لا صحراء نجب"، الفتح، العدد: 862، العام: 18.
23) خليل لويس، 1944، "ترقية اللغة العربية ومشروع الحروف اللاتينية"، مجلة الشرق، ج1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.

24) دينيه ناصر الدين،(بدون تاريخ)، الحج إلى بيت الله الحرام، صيدا، بيروت، لبنان، منشورات المكتبة العصرية.
25) رشيد رضا، يناير 1902، فصل: مشروع التعليم باللغة العامية المصرية (القسم الاول)،في مجلة المنار،مجلد 4، جزء 21.
26) رشيد رضا، فبراير 1902، فصل: مشروع التعليم باللغة العامية المصرية (القسم الثاني)،في مجلة المنار،مجلد 4، جزء 22.
27) شاكر أحمد محمد (أبي الأشبال)، شوال 1363هـ، "عبد العزيز فهمي باشا واللغة العربية"، الفتح، العدد: 816، ، العام 17.
28) شاكر أحمد محمد (أبي الأشبال)، ذو القعدة 1363هـ، "عبد العزيز فهمي باشا وعداؤه للعربية"، الفتح، العدد: 817، العام 17 .
29) العرباوي محمد المختار، مايو 1995م، "أطروحات المدرسة التاريخية الاستعمارية حول شمال إفريقيا"، المستقبل العربي العدد: 195، السنة 1 بيروت، لبنان.
30) الفاخوري حنا، 1986، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، بيروت، لبنان، دار الجيل.
31) لوبون غوستاف، جمادى الثانية 1344هـ، الزهراء، العدد: ج:6، م: 2، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر.
32) محمد علي باشا ، 19 ربيع الأول 1349هـ، "الفكرة الفرعونية فكرة عقيمة من مصلحة مصر أن تهجر عبادة الحجارة الميتة وتستعطف القلوب الحية في الشرق العربي"، الفتح، العدد: 212، السنة الخامسة.
33) المراكشي محمد الصالح، 1985، صراع الفصحى والعامية- تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار 1898-1935م، تونس، الدار التونسية للنشر، والجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
34) المعرض الأسبوعية (جريدة)، 20 فبراير 1930، عدد: 893.
35) فهمي هويدي، عالم المعرفة (43)، الإسلام في الصين،"سلسلة كتب شهرية ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شعبان-رمضان 1401هـ، يوليو-تموز 1981م.

36) Grand Larousse, Encyclopédique, 1964, Paris, Ed, Larousse, tome : 9.
37) Noel Charles, janvier 1909, « l'Arabe est elle langue vivante ? » Revue Tunisienne, n° 73.
38) Pierre Willemart, Ataturk et le kémalisme, Miroir De l'histoire, N° 230, Février 1969, Nouvelle Libraire de France, Rennes, Paris (VI^{e}), France.